الخـاتمة

بعد هذه الدراسة التفصيلية لإمارة بني مزيد منذ مطلع القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي حتى قرابة منتصف القرن السادس الهجري /الثاني عشر الميلادي وبالتحديد من عام (٤٠٣هـ / ١٠١٢م) حتى (٥٤٥هـ / ١١٥٠م) نخلص إلي ما يلي:

إن إمارة بني مزيد هي نموذج للدويلات الطفيلية التي طفت علي سطح المجتمع الإسلامي نتيجة لضعف الخلافة العباسية، وانشغال القوي التي تغلبت عليها بصراعاتها الداخلية، مما سمح لهذه الكيانات الصغيرة بالظهور علي مسرح الأحداث وارتفاع صوتها. ولم يكن يشغل بال هذه الكيانات الصغيرة سوي التوسع بصورة سرطانية علي حساب جسد الخلافة العباسية المريض، وبالتالي لم تعبأ بقضايا المسلمين الكبرى والأخطار الداهمة التي تعرض لها قلب العالم الإسلامي في نهاية القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي و المقصود به الخطر الصليبي.

ولم يكن أمراء بني مزيد مدركين لخطورة وجود الكيان الصليبي، وبالتالي تقاعس الأمير "صدقة الأول بن منصور " عن المشاركة في المقاومة ضد الصليبيين، وجاء من بعده ولده الأمير "دبيس الثاني " ليزيد الطين بلة ويتحالف مع الصليبيين لإسقاط جزءاً استراتيجياً من بلاد الشام وهو حلب، ولكن كيدهم رُد إلي نحورهم و عادوا خابيين.

وقد كان وجود إمارة بني مزيد من المعوقات التي شغلت الخلافة العباسية وسلطنة السلاجقة عن التصدي للخطر الصليبي في ظل دخولهم في صراعات مستمرة مع بني مزيد منذ عهد الأمير "صدقة الأول بن منصور "، وهو ما أخر دور السلطان محمد بن ملكشاه في الرد علي الصليبيين، كما أرق الأمير "دبيس الثاني " مضجع الخلافة و سلطنة السلاجقة معاً بسبب هجماته المستمرة علي بغداد و نهبه المتواصل لسواد العراق.

ولم يكن بنو مزيد في سبيل تحقيق أغراضهم يعبئون بدين ولا بمذهب، فرغم أنهم كانوا شيعة إماميه،إلا أنهم دخلوا في طاعة الخلافة العباسية، ورغم أن الخلفاء

العباسيين- من وجهة نظرهم- لا حق لهم في الخلافة، إلا أنهم دعوا لهم علي المنابر في سبيل المحافظة علي وجودهم. ولعل هذا يفسر لنا سبب سكوت المصادر الشيعية عن استعراض تاريخ بني مزيد نتيجة لعدم إخلاصهم للمذهب الشيعي. ولعل الذي شجع بني مزيد علي سلوك هذا النهج هو اختفاء إمامهم المنتظر، ويبدو أنهم قرروا الدعوة للخليفة العباسي المفضول لحين ظهور إمامهم المنتظر وهو الأفضل.

كما نخلص إلي أن مشاركة بني مزيد في ثورة البساسيرى ودعائه للخليفة المستنصر الفاطمي جاء من قبيل الاستفادة من الأموال والخلع والغنائم التي يمكن أن يجنوها من وراء هذه المشاركة، في وقت تزعزع فيه موقف الخليفة العباسي وانشغل السلاجقة بمشاكلهم الداخلية.

كما أن توسع بنو مزيد جاء في ظل المشاكل التي عاني منها المتغلبون علي الخلافة سواء البويهيين أم السلاجقة، فلم يتمكن بنو مزيد من التوسع طوال عهد سلاطين السلاجقة الأقوياء، ولكن مع حدوث الانشقاق والتمزق للدولة وانشغال السلاجقة بصراعاتهم الداخلية، تمكن الأمير "صدقة الأول بن منصور " من تحقيق أغراضه بتوسيع أملاكه حتى امتدت من تكريت شمالاً إلي رأس الخليج الفارسي جنوباً في نطاق غير متصل.

وقد كان لتمسك بني مزيد بعادة الجوار العربي أثراً إيجابيا في ارتفاع مكانتهم بين العرب وآخر سلبياً -وكان هو الأثر الأكبر- وهو استخدام هذا الحق في الإجارة علي سلاطين السلاجقة والخلفاء العباسيين، وهو ما أدي إلي تعجيل السلطان محمد بن ملكشاه بالتخلص من الأمير "صدقة الأول بن منصور " بسبب إيوائه الفارين من وجه السلطان، وهو ما يخالف مبادئ الجوار العربي لأن المجير لا يجير علي من هو أقوي منه، وهو ما لم يعترف به الأمير "صدقة الأول بن منصور " فكانت نهايته.

كما نخلص إلي أن أهم ملامح إمارة بني مزيد هو غلبة الطابع البدوي عليهم رغم طول عمر إمارتهم الذي امتد نحو القرن ونصف القرن، ورغم انتقالهم من حياة البادية إلي سواد العراق حيث الحضر والاستقرار، إلا أن ذلك لم يؤثر فيهم فظلوا لفترة تقارب القرن من عمر دولتهم يعيشون حياة التنقل وعدم الاستقرار حتى عام (٤٩٥هـ

/ ١١٠١م) حين بني الأمير "صدقة الأول بن منصور " مدينة الحلة لتكون مقراً دائماً لهم، لكن هذه الخطوة لم تتم ولم يتحول بنو مزيد إلي مرحلة التحضر بسبب مصرع الأمير "صدقة الأول بن منصور "، ثم حالة عدم الاستقرار التي عانت منها الإمارة في عهد الأمير " دبيس الثاني " .

وقد اجتمعت عدة عوامل لتؤدي إلي نهاية إمارة بني مزيد علي رأسها صراع الأمير " دبيس الثاني " مع الخليفة المسترشد بالله وتدخله في صراعات البيت السلجوقى التي أودت به، و كذلك تحالفه مع الصليبيين الذي عد وصمة عار في جبين الإمارة لم ينمحي عبر الزمن ثم استنزاف الأراتقة والاتابك زنكي لثروة الإمارة البشرية والمادية، وساعد علي سرعة الانهيار أن الإمارة لم تكن ذات نطاق متصل فقد تخللتها أملاك الخلفاء وإقطاعات قادة السلاجقة، وهو ما كان يسهل سرعة وصول الجيوش المعادية إلي عاصمة الإمارة وطردوا الأمير منها.ولم تستطع الإمارة تقديم إنجازاً حضارياً يذكر في أي مجال حقيقة أنهم اتبعوا نظاماً سياسياً ثابتاً يقوم علي التوريث لكنهم لم يقدموا أي جديد.